

لم يعودوا أعداء، لقد أصبحوا بشر

في عام 1944، أم الشاعر الروسي أيفجين أيفتشينكو أخذته من صربيا إلى موسكو. وقد كانوا من ضمن المشاهدين للموكب الذي جعل خلاله 20000 أسير ألماني يسيرون خلال شوارع موسكو:

الأرصفة أمتلئت بالمشاهدين وأصطف على أطراف الأرصفة الجنود ورجال الشرطة. الحشود كانت في أغلبها من النساء " نساء روسيات بأيدي خشنة بسبب الأعمال القاسية، شفاه لم تلمسها حمرة الشفاه، و أكتاف نحيلة ومحنية هذه الأكتاف هي التي حملت نصف أعباء الحرب. كل واحدة منهن لا بد أن لديها أب، زوج، أخ أو ابن قتل على أيدي الألمان". و كنت النساء تنظرنا بحقد تجاه المكان الذي سيظهر منه الرتل الذي يسير.

وأخيراً ظهر الرتل، القادة كانوا يسيرون في المقدمة، ذقون مهيبة مرتفعة، شفاه مملوءة بالازدراء، تصرفاتهم بأكملها تظهر تفوقهم على الناس العاميين الذين انتصروا عليهم، تفوح منهم رائحة العطور.

أوغاد، أحداً ما صرخ من الجموع بصوت ملؤه الكراهية، النساء كنّ يشدن على قبضاتهن. الجنود ورجال الشرطة فعلوا كل ما استطاعوا لكي يمنعهن من الاقتراب من السجناء.

فجأةً شيء ما حصل لهن. رأينا جنود ألمان، ضعفاء(نحيلين)، غير مخلوقي الذقون، عليهم العديد من الضمادات المبقعة بالدماء والقذرة، بعضهم يعرجون على عكازات وآخرين يستندون إلى أكتاف رفاقهم، مشى الجنود برؤوس منخفضة إلى الأرض. الشارع بأكمله ألتف بصمت رهيب " الصوت الوحيد الذي كان يسمع هو صوت الأحذية التي تجر على الطريق والعكازات بصوتها المكتوم".

وعنده رأيت امرأة مسنة بحذاء مهترأ تدفع نفسها إلى الأمام وتلمس كتف شرطي، وتقول له: "دعني أمر". لا بد أن هناك شيء غريب في هذه السيدة جعله يتنحى جانباً ويدعها تمر، توجهت نحو الرتل وأخرجت من معطفها القديم شيء ملفوف بمنديل ملون وفكت اللفة . وكان هناك كسرة من الخبز الأسود. ودفعته بشكل مرتبك إلى جعبة جندي كان منهك بشكل كامل بحيث أنه كان يترنح على قدميه.

الآن ومن كل ناحية ركضت النساء تجاه الجنود، يضعون في أيديهم الخبز أو السيجار أو أي شيء كان لديهم.

الآن لم يعد الجنود أعداء لقد أصبحوا بشر.

السيرة الذاتية، أيفجين أيفتشينكو، كوينز - لندن